المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

عوامل ازدهار الخلافة الفاطميّة وتداعيات انهيارها

(358-567هـ/969-1171م).

إعداد الدكتور: عادل أحمد ملحم

كلية الآداب والعلوم إلآنسانية – قسم التّاريخ

ملخّص البحث

هذا البحث هو دراسة بسيطة تلقي الضوء بصورة عامة وموجزة على **عوامل ازدهار الخلافة الفاطميّة وتداعيات انهيارها(358-567هـ/969-1171م)**، الغاية منه وضع اليد على بعض مواطن القوة والضعف التي رافقت قيام هذه الخلافة، والتي نشأت بالتوازي مع قيام الكثير من الدويلات الانفصالية في المشرق والمغرب عن الخلافة العباسية واستغلت جوانب ضعف الخلفاء العباسيين وتناحر الحكام على اختلاف مشاربهم ومواردهم وعقائدهم، بما فيه الغزو الصليبي للبلاد الاسلاميّة، وآثرت فيه تقديم نقد بنّاء للخلافة الفاطمية منذ بداية تأسيسها حتى أفول نجمها، وقد تضمن البحث أربعة أقسام رئيسية :

القسم الأول: يتضمن دراسة موجزة للخلافة الفاطميّة منذ تأسيسها في شمال إفريقي وانتقالها إلى مِصر ومن ثُمَّ توسعت في دراستها بمِصر منذ تأسيسهم لعاصمة خلافتهم في القاهرة حتى سقوطها.

أما القسم الثاني: عرضت فيه النُظم الإدارية للدّولة من الخلافة وآلية انتقال الحكم من خليفة إلى آخر، إلى الوزارة وأنواعها بين تنفيذ وتفويض، إضافةً إلى التنظيمات الاداريّة والحربيّة.

أما القسم الثالث:يتناول مظاهر الحياة الإقتصاديّة والاجتماعية والفكريّة وما حقّقه الفاطميّون من إنجازات كبيرة في هذه المجالات، حيث استطاعوا نقل مِصر من وضع الفقر والعوز إلى وضع الرّخاء الإقتصادي والإجتماعي وتحفيز النّاس على تلقي العلوم والآداب بمختلف أنواعها.

أما القسم الرابع: فقد تضمّن تدخّل الوزراء في الحكم وكان ذلك الأمر إيذاناً في سقوط الخلافة الفاطميّة وزوال مُلكلها وتحوّل المِصريّين بعدها من المذهب الشّيعي الاسماعيلي إلى المذهب السُنّي الشافعي والمالكي على يد صلاح الدين الأيوبي وعودة البلاد المِصرية إلى حاضرة الخلافة العبّاسيّة بعد حوالي 260سنة من حكم الفاطميّين وفي مصر حوالي مئتي سنة.

تمهيد

عرفت الدّولة الفاطميّة منذ تأسيسها في مِصر نشاطاً دعوياً واسعاً لتثبيت دعائم حكمها، ونقل مِصر السُنّية إلى مذهب الشّيعة الاسماعيليّة، مستغلّةً الأوضاع الإقتصاديّة والاجتماعية المترديّة الّتي كانت

تعاني منها البلاد، ونقلها من حالة الفقر والمعاناة إلى حالة من العزّ والتّرف، ممّا دفع غالبيّة السكّان المسلمين السُّنة إلى التغيير نحو مذهب الخلافة الجديدة، وإتباعه.

وقد حمل الفاطميّون معهم إضافة إلى الدّعوة الاسماعيليّة، التنظيمات الإداريّة والإقتصاديّة التي انعكست ايجاباً على مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والفكريّة، الّتي ساهمت في تطور البلاد تطوراً ملحوظاً على كافة الأصعدة، وقد ورثوا منصب الوزارة عن الطولونييّن والإخشيديّين، ولكنّهم أعطوا الوزارة حقّها، كما نظّموا الإدارات المختلفة في الدّولة، واهتموا بالزراعة ونظّموا الجباية فزادت ماليّة الدّولة، وتحسّنت أوضاع البلاد الاجتماعية، كما أولوا التنظيمات الحربيّة أهميّة كبيرة، فشكلت الحصن الحصين للخلافة على مدى سنوات إزدهارها.

ونتيجة إهتمامهم بمختلف النّواحي الإقتصاديّة، نُقلت مِصر إلى لائحة الصّدارة، فأصبحت أهمّ المراكز التّجارة العالمية بعد أن كانت بغداد هي العاصمة الأولى في المشرق العربي وقد تجلّت إنعكاسات ذلك على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والفكريّة فنشطت دور العلم وتسابق النّاس على طلب العلم ونشأة المكتبات العامّة لخدمة المجتمع وتوسّع دورها وغدت مِصر محجّاً لطلاب العلم، من مختلف الإختصاصات.

ومع الوقت ضعفت سلطة الخليفة وتزايد نفوذ الوزراء وتدخّلوا بمختلف شؤون الدّولة، وانقلبت موازين القوى، حيث أصبح الوزير هو الآمر الناهي، حتى في القضايا الّتي تختص في تسمية الخليفة، مخالفين المبادئ الأساسية للإسماعيلية والّتي تنص على أن يسمي الخليفة وليّ عهده وأن يكون أكبر

أولاده وأن تخلع عليه الإمامة، فتغيرت الأحوال وانتكست مسيرة الإصلاح والتطّور، وظهرت الأطماع الخارجيّة الصليبيّة في الاستيلاء على مِصر بتآمر معشاور آخر الوزراء الشّيعة الّذي تخوّف من هيمنة نورالدين زنكي على البلاد وهذا الأمر تسبب في نهاية الخلافة وزوال ملكها وقد حلّت محلّها الدّولة الأيوبيّة السُنيّة الّتي استطاعت أن تحمي مِصر وتحرر بيت المقدس من الصليبيّين.

أولاً- الدّولة الفاطميّة في مِصر

1- انتقال الخلافة الفاطميّة من المغرب إلى مِصر

دأب الفاطميّون بعد استقرار نفوذهم في بلاد المغرب، إلى البحث عن عاصمة جديدة لخلافتهم، لأنّهم وجدوا أن هذه البلاد لا تصلُح أن تكون عاصمة لدولتهم، وذلك بسبب ضعف مواردها وكثرة الاضطرابات فيها. لذا فكروا في نقل حكمهم إلى مِصر لوفرة خيراتها وثرواتها، وقربها من بلاد المشرق العربي، الّذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العبّاسيّن، وكون عبيدالله المهديّ كان يطمع، باتخاهذا قاعدة لحُكمه، بغُية توجيه حملاته على بغداد مركز الخلافة العبّاسيّة المتداعية، وللوصول إلى هذه الغاية قام بتوجيه العديد من الحملات لغزو مِصر والسّيطرة عليها، وفشلت جميعها في البداية، ففي سنة (301هـ/913م) أرسل جيشاً من المغاربة تحت إمرة ابنه ووليّ عهده القاسم وقائده حُباسة بن يوسف، واستطاعت هذه الحملة من السّيطرة على برقة والإسكندرية وتوغّلت في الوجه البحريّ ولكنّ الخليفة العبّاسي أنفذ قائده مؤنس الخادم لدفع المغُيرين وحدثت معركة ببلدة مشتول على مقربة من الجيزة وانهزم حُباسة وعاد إلى المغرب حيث قتله الخليفة عبيدالله المهديّ إثر رجوعه **(عريب بن سعد،**

1884، ص53). وقد كشفت هذه الحملة بالرغم من الخسارة الكبيرة الّتي مُنيت بها إلى ميل المِصريين للدعوة الفاطميّة وذلك بفضل دُعاة الاسماعيليّة وعلى رأسهم أبو علي الدّاعي الّذي قام في مِصر بالدّور نفسه الّذي قام به أبو عبدالله الشّيعي في المغرب.

وفي سنة (306هـ/919م) عاود المهديّ إرسال حملة ثانية لغزو مِصر، واستطاع الفاطميّون السّيطرة على الإسكندرية والجيزة، وتوغّلوا في بلاد الوجه القبلي وتمكّنوا من الاستيلاء على الأشمونين والفيوم، وعندما علم الخليفة العبّاسي المقتدر بأمر الفاطميّين وتقدُّمهم، أرسل إليهم مرّة ثانية قائد جيشة مؤنس الخادم على رأس قوة عسكريّة إلى تلك البلاد، فاستولى على سفنهم وأحرقها **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص103-104)**، ويُعزى سبب فشلهم في هذه المرّة لعدم تنفيذهم الخُطّة الّتي رسمها المهديّ، ولتقاعس أبي طاهر الجنابي أمير القرامطة في البحرين عن نُصرتهم، حيث إنه لم يتقدّم بجيشه إلى مِصر ليعاون جيش الفاطميّين.

وبسبب اضطراب أحوال الخلافة العبّاسيّة بعد وفاة المقتدر، وانقسام القادة الأتراك على أنفسهم، استغلّ عبيدالله المهديّ الفُرصة، واتفق مع أبي طاهر الجنابي على إثارة الاضطراب في بلاد المشرق، على أن تزحف جيوش المهديّ بإتجاه مِصر، ونُفّذت المهمّة تحت قيادة حبشي بن أحمد المغربي سنة (321هـ/932م)، وبعد مناوشات عديدة حدثت هُدنة، ولكنها لم تدُم طويلاً، فنشبت بعدها عدة وقائع بين المغاربة والمِصريّين في بعض المدن كالجيزة وبلبيس، وأوقع محمد بن طغج (الإخشيد) الهزيمة بالفاطميّين، فاضطروا إلى العودة إلى بلاد المغرب، وفي هذه الفترة توفّي المهديّ مؤسّس الدّولة الفاطميّة، وأخفى ابنه القائم خبر وفاته سنة كاملة حتى استقرت له الأمور في المغرب.

تابع القائم مسيرة أبيه في غزو مِصر فأرسلإليها حملة جديدة في أواخر سنة (323هـ/925م)، وقد وصلت إلى الإسكندرية في أوائل سنة (324هـ/925م) ولكنها خسرت بسب قوة جيش الإخشيد، بالرغم من مناصرة بعض الزعماء المِصريّن لهذه الحملة – ممّا يدّل على تأثرهم بالدعاية الفاطميّة – فأرغمهم على العودة إلى إفريقيا **(الكندي، 1908، ص287،286،284)**

لم تثبط الهزائم المتعاقبة من عزيمة الفاطميّين في بسط نفوذهم على مِصر، فلجأ الخليفة القائم إلى المفاوضات، وأرسل إلى الإخشيد رسولاً ومعه كتاب يطلب فيه صداقته إيثاراً للمسالمة. ولا شك أن الإخشيد لم تخف عليه مطامع الخليفة الفاطميّ للدخول في طاعته، فكان حريصاً على بقائه تحت لواء الخلافة العبّاسيّة، إذ إنّ ضعفها يُتيح له ببعض الاستقلال، خاصة عندما علم بأنّ الخليفة الراضي قلّد محمد بن رائق الخزري ولاية الشّام سنة (328هـ/939م)، ففكر بقطع الدعاء للخليفة على المنابر والاستقلال بالبلاد ولكن بعض اخصائه نصحوه بالعدول عن ذلك.

وبالرغم من تمسك الإخشيد بإلاّ يكون تابعاً للخليفة الفاطميّ، فإنه سعى لتوثيق علاقته به، فأرسل إليه كتاباً يعرض عليه زواج ابنته من ولي عهده المنصور، فأجابه الخليفة الفاطميّ بكتاب جاء فيه: ((وصل كتابك، وقد قبلنا ما بذلت وهي وديعة لنا عندك، وقد منحناها من بيت مالنا قبلك مائه ألف دينار، فوصل ذلك اليها)) **(ابن سعيد، 1898-1899، ص27)**. لم يؤدّ هذا الكتاب إلى زواج المنصور ابن القائم بابنة الإخشيد، حيث يفهم منه أن الخليفة القائم قد عامل الإخشيد كأحد ولاته وأن في ذمته أتاوة أو مالاً للحكومة الفاطميّة، ومن ثُمَّ منح ابنته مائة الف دينار من هذا المال، أما الإخشيد

فكان يظن أن القائم سيرسل إليه من الأموال والهدايا ما يفخر به، فلما لم تتحقق أمنيتهبسبب فشل مشروع الزواج **(سيّدة كاشف، مِصر في عصر الإخشيديين، 1950، ص361-362)**.

ظلّ الإخشيد على ولائة للخلافة العبّاسيّة حتى وفاته (334هـ/945م)، وواجهت مِصر بعد وفاته عدّة صعوبات، منها إغارة سيف الدّولة الحمداني أمير حلب على بلاد الشّام ومسيرته إلى الرملة للاستيلاء على مِصر، لكنّه جوبه بمقاومة كافور الّذي كان وصيّاً على أنوجور بن الإخشيد واستطاع ردّ الحمدانيّين إلى حلب. وأما من ناحية المغرب فإن المنصور الفاطميّ الّذي تولّى الحُكم، عقب وفاة والده سنة (334هـ/945م)، لم يقم بمحاولات لغزو مِصر والسبب في ذلك انشغاله في بسط نفوذه في بلاده، على أن الفاطميّين بقوا في حالة ترقُّب لوضع البلاد المِصريّة، ولاغتنام الفرصة في الوقت المناسب.

وقد حرص كافور الّذي استأثر بالسلطة آنذاك، إلى إقامة علاقة صداقة مع كل من الخليفة العبّاسي والخليفة الفاطميّ، كما قال أبو المحاسن في كتابه ((النجوم الزاهرة)): ((أنه كان يُهادي المعزُّ صاحب المغرب ويظهر ميله إليه وكذا يُذعن بالطاعة لبني العبّاس، ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء)). وفي عهد كافور حاول المعزُّ الإغارة على البلاد المِصرية، فأرسل جيوشاً كثيرة، استطاع كافور مواجهتها وصدّها، عندها تحوّل الخليفة إلى نشر الدّعوة الفاطميّة، ووصلت رسله إلى كافور تدعوه إلى الاعتراف بسيادته، لكنه لم يلق رداً حاسماً، في حين استطاع دعاته أخذ البيعة من رجال بلاد كافور وكبار موظفي دولته **(المقريزي، الخطط، 1997، ج2، ص27)**.

ولما توفّي كافور إضطربت أحوال مِصر السياسيّة ووقع اختيار وجهاء البلاد على أبي الفوارس أحمد – حفيد الإخشيد– ولم يكُن قد تجاوز الحادية عشر من عمره، وما لبث أن استقلّ الوزير جعفر بن

الفضل بن الفرات بتدبير أمور ولاية مِصر، الّتي أصبحت في عهده مسرحاً للفوضى. وقام بالقاء القبض على طائفة من كبار الموظّفين وذوي الرّأي وصادر أملاكهم، وكان من بينهم يعقوب بن كلس، وكان هذا الأخير يهودياً، نشأ في بغداد، ثُمَّ سافر مع أبيه إلى الشّام ورحلّ منها إلى مِصر حيث اتصل بكافور، فأعجب بذكائه وعيّنه في ديوانه الخاص، ولماّ أظهر إسلامه في شعبان سنة (356هـ/966م) زادت حظواته عند كافور **(ابن خلكان، 1866،ج 3، ص461)**.

لم يستطع ابن الفرات من القضاء على عناصر الفوضى، بل زادت الحالةالماليّة سوءاً، وحلّ بالبلاد الوباء والقحط من جرّاء انخفاض النّيل، وفقدت حكومته هيبتها، فأصبحت عاجزة عن دفع رواتب الجُند وجمع الضّرائب، ممّا دفع الكثير من المِصريين الطّلب إلى المعزُّ لدين الله للقدوم إلى مِصر لإنقاذها من حالة الفوضى الّتي وصلت إليها عقب وفاة كافور(سيّدة كاشف، 1950، ص265). على أن الخليفة المعزُّ كان يُعدّ العُدّة لفتح مِصر قبيل وفاة كافور ففي سنة (356هـ/967م)، أمر بإنشاء الطّرق وحفر إلآبار في طريق مِصر، وأقام المنازل على رأس كل مرحلّة، ولمّا وصلته أخبار وفاة كافور(358هـ/968م) أخذ في إعداد المال اللّازم لتجهيز الحملة، وأرسل دُعاته إلى مِصر وأمرهم بتوزيع دعوتهم للجند الّذين يؤيدون بيعته لينشروها إذا ما اقتربت عساكره من مِصر**(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص147)**.

عهد المعزُّ إلى جوهر الصقلي بقيادة حملته على مِصر سنة (358هـ/968م)، الّذي وصل إلى برقة فاحتفل به أهلها، ثُمَّ الإسكندرية الّتي دخلها من دون مقاومة، ومنع جنده من التعرّض للأهلين، واستطاع أن يتألق عساكره بما أغدق عليهم من الأرزاق. ولما وردت إلى الفسطاط أخبار وصول جوهر

إلى الإسكندرية واستيلائه عليها، شاور ابن الفرات ذوي الرّأي، فاستقر رأيهم على مفاوضته في شروط التسليم، على أن يأمنهم على أرواحهم وأموالهم، وجرت مفاوضات بين الطرفين انتهت بكتاب الأمان **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص148-153)**، وقد بيّن جوهر في هذا الكتاب، الّذي التمسه وفد أهالي الفسطاط، أن جيوش الفاطميّين قدمت إلى البلاد لحمايتهم، كما عرضت برنامجاً اصلاحياً كإقامة شعائر الحجُّ والعمرة وإصلاح الطّرقات، والعمل على استتباب الأمن وتوفّير الأقوات وإصلاح العملة ونشر العدل، كما وعد بترميم المساجد وتأثيثها، وان تدفع للمؤذنين رواتبهم من بيت المال. وأن يظلّ المِصريون على مذهبهم، دون أن يلزمهم بالتحوّل إلى المذهب الشّيعي وأن يجري الأذان والصّلاة وصيام رمضان وفطرة الزّكاة والحجُّ والجهاد على ما ورد في الكتاب والسُّنّة، وتأمين المِصريين على أرواحهم وأموالهم.

لكن فريقاً من الفسطاطيين وطائفة كبيرة من الجُند رفضوا هذا الأمان وقالوا: ((ما بيننا وبين جوهر إلاّ السيف)) وولوا قائداً من بينهم يدعى ((نحرير)) لتولي الإمارة، ولما علم جوهر بذلك أرسل إليهم فرقة من جُنده عبرت النّيل ووصلت إليهم ودار بين الجانبين القتال، فقتل من المِصريين عدد كبير، ثُمَّ أعاد المِصريين طلب الأمان، فأستجاب لهم القائد الفاطميّ وأعاد الأمان وأذاع على جنده منشوراً يحرّم فيه عليهم القيام بعمل من أعمال السلب والنهب، ثُمَّ خرج الوجهاء والأعيان وعلى رأسهم ابن الفرات إلى الجيزة لاستقبال جوهر، وهدأت الحالة في الفسطاط وعادت التّجارة إلى ما كانت عليه **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص157-158)**، وهكذا بدأ حكم الفاطميّين في مِصر وزال حكم الإخشيدية.

2-تأسيس عاصمة الفاطميّين وبناء الجامع الأزهر:

بعد أن سيطر جوهر الصقلي على مِصر، شرع في إنشاء مدينة جديدة تكون مقرّاً وحاضرة للخلافة الفاطميّة ومركزاً لنشر دعوتها الدينية، فوضع سنة (358هـ/969م) أساساً للمدينة في شمال الفسطاط، وأساساً لقصر سيّده المعزّ، عُرف بالقصر الشّرقي الكبير، وأقام حول المدينة سوراً كبيراً وأطلق عليها اسم المنصورية، تقرّباً من الخليفة المعزّ وإحياءً لذكرى والده المنصور، وظلّت تُعرف بهذا الإسم حتى قُدوم المعزّ لدين الله إلى مِصر وإقامته فيها، أي بعد أربع سنوات فسمّاها القاهرة **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص158)**، تفاؤلاً منه بأنه سيقهر الدّولة العبّاسيّة المنافسة، وقيل لأنّها تقهر من شذّ عنها وحاول الخروج على أميرها **(حسن ابراهيم، تاريخ الدّولة الفاطميّة، 1959، ص 528-529)**، وكان بمِصر قبل الفتح الفاطميّ ثلاثة مساجد جامعة، هي: الجامع الّذي بناه عمرو بن العاص سنة (21هـ/641م)، وعرف باسمه، ومسجد العسكر الّذي بناه سنة (169هـ/785م) والي الدّولة العبّاسيّة آنذاك الفضل بن صالح، ومسجد أحمد بن طولون الّذي بناه هذا الأخير سنة (263هـ/876م) .

وعندما أسّس جوهر المدينة، وحفاظاً على مشاعر المِصريين واحتراماً لنص الاتفاقية المبرمة بينهم، لناحية عدم المس بمشاعرهم الدينيّة ومذهبهم، قام ببناء مسجد يكون رمزاً لسيادة الدّعوة الفاطميّة، فشرع في بناء الجامع الأزهر سنة (359هـ/970م) وأتم بناؤه بعد سنتين تقريباً، حيث أُقيمت الصّلاة فيه للمرة الأولى في السابع والعشرين من رمضان من سنة (361هـ/972م) **(المقريزي، الخطط، 1997، جـ1، ص361)**، وقد عُرف بادئ الأمر بجامع القاهرة، نسبة إلى العاصمة الجديدة، وبعد أن أنشأ الخليفة العزيز القصور الفاطميّة، الّتي أُطلق عليها القصور الزاهرة، تمت تسميته بالجامع الأزهر، وظلّ

يُعرف بهذين الاسمين حتى أوائل القرن التاسع الهجري، حيث تقلّص إلاسم الأول وثبت عليه الجامع الأزهر، وكان يتوسّط المدينة الجديدة وتقام فيه الصلوات يوم الجمعة والأعياد، إضافة إلى العديد من الاحتفالات الدينية الأخرى.

بعد أن تمّت لجوهر سلطته على مِصر، اتّخذ مجموعةً من الإجراءات الّتي تعزّز وجود الفاطميّين وتؤكّد سلطتهم على الأرض المِصرية، فقام بحذف الدّعوة لخلفاء بني العبّاس الّتي كانت تُقام بمساجد مِصر وأمر بالدّعوة للخليفة المعزُّ، وضرب السكّة باسم الخليفة الفاطميّ **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص164-165)**، كما أمر بأن يؤذّن في جميع المساجد بـ ((حي على خير العمل))**(المقريزي،إتّعاظ الحنفا، 1948، ص166)**، وهي العبارة الّتي تميّزه عن أذان السُّنّة، وقد لقيت التغييرات الدينية الّتي أدخلها الكثير من النجاح، فبعث للمعزّ يخبره بما لقيته دعوته من تأييد. وبعد فتح مِصر أقرّ المعزُّ جوهر على ولايتها، وأقر ابن الفرات في منصبه (الوزارة)، كما أبقى على الموظّفين المِصريين في وظائفهم وأشرك مع كلٍّ منهم موظّف آخر من المغاربة **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص168)**.

وبعد أن استقر سلطان الفاطميّين في مِصر، أرسل جوهر للمعزّ يستدعيه لتولي زمام الحكم في البلاد بنفسه، ولما تيقّن هذا الأخير أن دعائم حكمه قد توطّدت في مِصر عزم على الرحيل إليها بعد أن استخلف يوسف بلكتين بن زيري بن مناد الصنهاجي على إفريقية والمغرب **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص169)**، وتوجّه إلى مِصر يصحبُه الكثير من أتباعه وجمعٌ كبيرٌ من رجالات دولته، ومن بينهم أعمامه وأولاده، كما أحضر معه رفات آبائه (المهديّ والقائم والمنصور)، **(المقريزي،**

إتّعاظ الحنفا، 1948، ص186)، وكان معه في ركابه خمسمائة حملٍ من الأموال الّتي أخرجها من قصور آبائه، ودخل الإسكندرية في شعبان سنة (362هـ/972م) والقى فيهم خطبة مفادُها أنّ دخوله للبلاد ليس طمعاً بها، وإنمّا أراد إقامة الحق وحماية الحجُّاج والجهاد ضدّ الكفار، وأن يختم حياته بالأعمال الصالحة، وقد أُستقبل بحفاوة من أشراف مِصر وقضاتها وأعيانها ورجال العلم فيه.

واستقر المعزُّ بالقصر الشّرقي الّذي أقامه له جوهر، وقُدّمت له الكثير من الهدايا والتُحف وبخاصة تلك الّتي قدّمها جوهر لمولاه المعزُّ والّتي اشتملت على مائة وخمسين فرساً مسرّجة، ملجّمة بعضها مذّهب وبعضها مرصّع والبعض الآخر معنبر، إضافة إلى العديد من الهدايا القيّمة. وكذلك تقبل جميع الهدايا الّتي قُدمت اليه من أعيان مِصر ورجالاتها، وبعد أن إنتهى من ذلك، أمر بإطلاق سراح جميع المعتقلين من الإخشيديّة والكافوريّة الّذين إعتقلهم جوهر وكانوا نحو الألف **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص189)**.

وبعد انتقال المعزُّ إلى مِصر تحوّلت من ولاية، إلى حاضرة للخلافة الفاطميّة بدلاً من المنصورة، وكان لهذا الانتقال اثره السلبيُّ على بلادِ المغربِ، حيثُ ضعُف نفوذ الفاطميّين فيها واستقلّ بولايتها بعض الولاة، ولم يأت منتصف القرن الخامس الهجري حتى تقلّص منها الحكم الفاطميّ. وأوكل المعزّ لجوهر يمهمّة الإشراف على دواوين مِصر وجباية الخراج حتى أوائل سنة (363هـ/973م)، حيث تسلّم المعزُّ منه الدواوين وجباية الأموال والنظر، وهكذا إستأثر المعزُّ بالنفوذ والسلطان، ولم يترك بيد جوهر ما يساعده على الاستئثار بالحكم، وابقاه بجانبه يستشيره بأحوال البلاد، ثُمَّ ما لبث أن صرفه عن

بعض مناصبه الإداريّة وأسندها إلى يعقوب ابن كلس ابن وعسلوج بن الحسن المغربي (ابن ميسر، 1919، ص45)، وبذلك فقد جوهر ما كان يتمتع به من نفوذ.

وقد استطاع المعزُّ بفضل ذكائه وحنكته وحُسن سياسته، من النهوض بشعبه واسعاده، كما ساعدته الأموال الّتي حملها معه من المغرب إلى إعداد قواته الحربيّة على اختلاف أنواعها وأن يقيم دولة في مِصر ناهضت الدّولة العبّاسيّة في العراق.

ثانياً– النُظم السياسيّة والإداريّة

نُظم الحكم والإدارة

أ– الخلافة :

حرصت الدّولة الفاطميّة منذ نشأتها في الشمال الإفريقي على إعتماد نظام الوراثة في الخلافة على غرار ما كان سائداً في أنظمة الحُكم آنذاك عند كل من الأمويّين والعبّاسيّين، ولكن الفارق عندهم هو إنتقال الوراثة من الأب إلى الابن الأكبر عن طريق التعيين بالنص وفقاً لمذهب الإمامة عند الشّيعة الاسماعيليّة. غير أنّ بعض الأحداث حملتهم على الخروج عن القاعدة المتّبعة، فهذا هو الخليفة الحاكم بأمر الله حاول أن يحرم ابنه أبا الحسن علياً من ولاية العهد – والّذي تولّى الخلافة من بعده باسم الظاهر–وأن يعهد بالولاية لابن عمه عبد الرحيم بن الياس، لكن محاولته باءت بالفشل وخلفه ابنه الظاهر، وكذلك تمّت مخالفة هذا النظام بعد وفاة الخليفة الآمر حين ولّى الخلافة من بعده لعمّه

الحافظ، وكذلك حصل بعد وفاة الفائز الّذي ولّى الخلافة لابن عمه العاضد لدين الله **(الشيال، 1958، ص20-21)**.

كان الخليفة الفاطميّ يعيّن ولي عهده قبل وفاته، ولم يكن له الحق أن يعهد بالإمامة من بعده لأكثر من واحد، وهذا ما يميّز ولاية العهد عند الفاطميّين عن الأمويّين والعباسيّين، الّذين قاموا بتسمية أكثر من شخص لولاية العهد، وهذا ما تسبب في خلافات كبيرة وانقسامات وصرعات بين ولاة العهد، وبالتالي أدّى إلى ضعف البيتين الأمويّ والعبّاسيّ. على أن الخلفاء الفاطميّين قد اختلفوا عن غيرهم بأنّهم أحاطوا أنفسهم بهالة من التقديس وحجبوا أنفسهم عن النّاس. وكانوا يرون في تقديس النّاس لهم إعلاءً لشأنهم واعتبروا أنفسهم هُداة لهم، كما كانوا يلقبون أنفسهم بألقاب عدة: منها الخليفة الفاطميّ أو العلوي أو أمير المؤمنين، في حين أطلق عليهم أهل السُنّة اسم العبيديين نسبة إلى عبيدالله المهديّ أول الخلفاء الفاطميّين في بلاد المغرب، كما أُطلق عليهم ((الفاطميّون)) نسبة إلى السيّدة فاطمة الزهراء **(حسن ابراهيم،1932، ص216)**. وقد توالى على الخلافة الفاطميّة أربعة عشر خليفة من الفترة الممتدة بين (297هـ/909م) حتى (567هـ/1171م).

ب-الوزارة:

إعتمد الفاطميّين على نظام الوزارة، فعند قدوم جوهر الصقلي إلى مِصر وتسلّمه الولاية فيها أقرّ الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات في منصبه حتى لا يُحدث عزُله اضطراباً في ولاية مِصر، كما أنه لم يقُم بعزل الموظّفين السُنّة وإحلّال موظفين غيرهم من المغاربة لأنّه لم يجد في بداية الأمر أحدٌ من

المغاربة خبير بالشؤون الإداريّة المِصرية. غير أن ذلك لم يمنعه فيما بعد من اشراكهم في الإدارة، حيث قام بتعيين موظّف مغربي مقابل كل موظّف مِصري، حتى إذا ما تدرّب أنصار الفاطميّين على الإدارة، إنفردوا بالوظائف. وكذلك عمل جوهر على إضعاف سلطة ابن الفرات، بأن عيّن له خادماً يلازمه في داره ويسير في ركابه ليكون عيناً عليه **(المقريزي، إتّعاظ الحنفا، 1948، ص 168-180)**.

سار الخليفة المعزُّ على نهج جوهر عند قدومه إلى مِصر، حيث أقدم ابن الفرات على اعتذاره عن البقاء في منصبه فقبل المعزُّ اعتذاره ولكنه أبقاه من ضمن مستشاريه المقرّبين، على أنّ المعزُّ قد عهد الوزارة من بعده إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن المغربي في إدارة شؤون الدّولة الفاطميّة المدنية والحربية، على أن ابن كلس لم يُسند اليه منصب الوزارة إلاّ في عهد الخليفة العزيز بالله.

وكانت الوزارة العصر الفاطميّ الأول 358-465هـ/969-1073م) وزارة تنفيذ لأن الخلفاء كانوا على جانب من القوّة بحيث استأثروا بإدارة شؤون الدّولة، كما حرصوا على اختيار وزرائهم من المختصّين بتدبير الأموال، وبلغ تسامحهم إشراك ذوي الشّأن من أهل الذمة في الوزارة **(ماجد، نظم الفاطميّين ورسومهم في مِصر، ص 92-93)**.

ضعف شأن الوزارة فيما بعد مع عهد الحاكم بأمر الله حيث أصبحت تعرف باسم الوساطة وذلك بعدما عزل الحاكم بأمر الله عيسى بن نسطور لإسناده مناصب الدّولة إلى أهل ملّته من المسيحيين، وتقلّد الوساطة بعده الحسن بن عمار زعيم الكُتاميين وتلقب بأمين الدّولة.

أصبحت الوزارة منذ أواخر عهد المستنصر بالله إلى نهاية العصر الفاطميّ وزارة تفويض تقلُّدها كثير من أرباب السيوف بعد أن كانت وزارة تنفيذ أو وساطة يرجع من تقلّدها إلى أمر الخليفة ونهيه وتحولت الوزارة إلى سلطة إستبدادية. ومن أشهر وزراء هذا العصر بدر الجمالي كان والياً لعكا وقد استدعاه المستنصر ليُنقذ عرش خلافته، ويُصلح الأمور في مِصر، وقد جاء في سجل تولّيه الوزارة ((وقد قلّدك أمير المؤمنين جوامع تدبيره وأناط بك النظر في كل ما وراء سريره)) **(المقريزي، خطط، 1853، ج1، ص44)**، وتعدّدت القاب وزراء التفويض ومنها: أمير الجيوش، وكافل قُضاة المسلمين، وهادي دعاة المسلمين، ثُمَّ أضيف اليها لقب ملك فيما بعد.

ج- التنظيمات الإداريّة:

قُسمت مِصر في العصر الفاطميّ إلى أربع ولايات أو أقاليم كبيرة هي: ولاية قوص ويحكم واليها جميع بلاد الصعيد، والولاية الشّرقية وتشمل على وجه التقريب جميع إلأراضي الواقعة شرقي فرع دمياط، والولاية الغربية وتشمل جميع البلاد الواقعة بين فرعي الرشيد ودمياط من الشمال إلى الجنوب، أما الولاية الرابعة فهي ولاية الإسكندرية ويضاف اليها البحيرة **(القلقشندي، 1913-1917، ج8، ص497-498)**.

أما فيما يتعلق بشأن الإدارة، فكانت تقسم إلى عدة دواوين، نذكر منها: ديوان الإنشاء، وديوان الإدارة الماليّة الّتي تقوم بجباية الأموال وإنفاقها ودواوين الإدارة المحلّيّة الّتي تحكم الولايات، وتنقسم الدواوين الرئيسية إلى عدّة دواوين فرعيّة، يختص كل منها بعمل معيّن. وكان ديوان الإنشاء أهم دواوين الإدارة وهو يلي الوزارة في الأهميّة، وأطلق عليه ابن منجب الصيرفي ((ديوان الراسائل)) وغلبت عليه

التسمية الأولى. وقد إكتسب هذه الأهميّة بسبب إتساع رقعة الخلافة الفاطميّة من بلاد المغرب إلى بلاد الشّام وجزيرة العرب، وكانت الحاجة إليه ملحّة للقيام بالدعاية الواسعة لخلفائها ممّا يتطلب مجهوداً كبيراً لهذه الغاية. ويلي صاحب الإنشاء في الرتبة صاحب القلم الدقيق الّذي كان يوقع على المظالم، يليه صاحب القلم الجليل ومهمته تسلّم رقاع المظالم من صاحب القلم الرقيق وعرضها على الخليفة **(القلقشندي، 1913-1917، ج3، ص491-492)**.

تقاضى الموظّفون رواتب كبيرة، وكانوا يُمنحون الملابس الفاخرة والهدايا الثّمينة في الأعياد والمواسم، ممّا سهّل عليهم القيام بواجبهم على أكمل وجه، وبدورهم لم يألوا جهداً في العمل على تقدّم مرافق البلاد الإقتصاديّة وصدّ غارات الأعداء عنها. وقد حرص الفاطميّون على اختيار موظفي الإدارة من بين ذوي الخبرة، واهتموا بتدريب كُتّاب الدواوين على جميع الأعمال الكتابية، وقد هيأت هذه الطريقة لأرباب العمل قدراً كبيراً من الثقافة الإداريّة **(ماجد، نظم الفاطميّين ورومهم في مِصر، ج1، ص95-96-103)**.

وكانت الشرطة من النُظم الإداريّة الهامة وقد عُنيت بحفظ الأمن وإستتباب النظام، وتولّى رئيسها الّذي كان يعرف بصاحب الشرطة تنفيذ أحكام القضاة، أما في الولايات فكان الولاة يقومون بأعمال صاحب الشرطة في ولاياتهم يساعدعم جماعة من الجُند. وإستمر تقسيم الشرطة إلى قسمين كما كان معمولاً بها من العصر الطولوني وهي الشرطة العليا في القاهرة والشرطة السفلى في مِصر (الفسطاط والعسكر).

د- التنظيمات الحربيّة:

إهتم الفاطميّون ببناء جيش قوي، يحمي دولتهم ويساعدهم على توسيع نفوذهم في أراضي الدّولة الإسلاميّة، ولتحقيق هذه الغاية شكلوا جيشهم من عدّة أجناس لم يكن بعضها معروفاً في مِصر، ومنذ دخول المعزُّ للبلاد المِصريّة إعتمد على المغاربة – وهم يكونون معظم جيشه – ويشملون عدة طوائف من البربر نذكر منها الكتامية والباطلية **(المقريزي، الخطط، 1997، ج2، ص8)**، والمصادمة والجودرية **(ماجد، 1953-1955،ج1، ص156-196)**، كما إهتموا بإنشاء اسطول لصدّ الأعداء الّذين يغيرون على دولتهم وليكونوا عوناً لقواتهم البريّة.

واستقدم العزيز بالله الأتراك والديلم، ثُمَّ ظهر عنصر السودان في جيش الحاكم بأمر الله وفي عهد المستنصر تضاعف عدد السودانيين إلى خمسين الفاً، وظلّ هذا العنصر يُشكّل العدد الأكبر في الجيش الفاطميّ حتى زالت دولتهم، وقد تسبب تعدُّد الطوائف في الجيش الفاطميّ إلى قيام التنافس والتشاحن بين طوائف الجُند ولاسيما بين الأتراك والسودانيين وأكبر دليلاً على ذلك ما حدث أيام المستنصر من خلاف بين الطائفتين المذكورتين، وكان لذلك اسوأ الأثر في حالة مِصر الداخليّة. وكان من فرق الجيش ايضاً عناصر أجنبيّة كالأرمن وقد أحضرهم بدر الجمالي من بلاد الشّام أثناء تولّيه الوزارة، وكما عمل بهرام الأرمني أثناء تولّيه الوزارة إلى احضار عدد كبير من الأرمن ايضاً، وكذلك أتى الأكراد مع أسد الدين شيركوه وصلاح الدين أيوب في عهد الخليفة العاضد.

غير أن الدّولة الفاطميّة الّتي سعت إلى اشراك العديد من الفرق والطوائف في جيوشها، آثرت في الوقت عيّنه عدم إدخال المِصريين في عداد جندها، إلاّ في أواخر العصر الفاطميّ، عندما أصبحت

مهدّدة من قبل الصليبيّين، وبُغية الدفاع عن البلاد قامت بإشراك جنود وأمراء من المِصريين فضلاً عن الطوائف الأخرى.

وكان من بين طوائف الجُند فرق من الجُند تنسب إلى الخلفاء أو الوزراء، فمن طوائف الخلفاء: الأمرية والحافظية والظافرية والعاضدية. ومن طوائف الوزراء: الوزيرية وتنسب إلى الوزير يعقوب بن كلس. وفي العصر الفاطميّ الثاني ظهرت الجيوشية نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي، والأفضلية نسبة إلى ابنه الأفضل والبرقية وهم جماعة من برقة، كما أنشأ الوزير طلائع بن رزيك فرقة منهم وجعل ضرغام مقدمهم **(المقريزي، الخطط، 1997، ج2، ص1205)**.

وقد اعتنى الفاطميّون بالجيوش لناحية تزودها بالعتاد اللّازم، وأعدّوا لهذه الغاية خزانة الخيام، وبها عدّة أنواعٍ من خيام الجُند، وخزائن لصناعة السروج اللّازمة للدواب في الحرب **(المقريزي، الخطط، 1997، ج1، ص471-420)**. وقد أظهر الجُندي الفاطميّ مهارةً في استخدامِ أسلحةِ الحرب الّتي شاع إستعمالها آنذاك كالحراب والسيوف والآت الحرب الضخمة كالمنجنيق الّتي ترمي الأسوار بالحجارة، كما زوّد الجيش بفرقة النفّاطين الّذين يقومون بإعداد قوارير مملوءة بالفط، ورميها على الأعداء للحؤول دون تقدّمهم **(المقريزي، خطط، 1997، ج1،ص418)**.

كما إهتّم الفاطميّون بالقوات البحريّة، وعينوا لهذا الاسطول ديواناً عُرف بديوان الجهاد، يقوم بالإشراف على بناء السُفن وتجهيزها بالمعدّات الحربيّة ودفع مرتبات الرجال العاملين فيها، واتخذوا مراكز لإنشاء السُفن الحربيّة في مدينة مِصر (الفسطاط والعسكر)، وأنشأ المعزُّ لدين الله دار لصناعة السُفن في الإسكندرية ودمياط، ومن السُفن الحربيّة الشواني (جمع شيني أو شوني) **(المقريزي، خطط، 1997،**

ج1، ص428)، وامتازت بأبراج الدّفاع والهجوم واحتوت على إهراءات لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب، كما عرفوا الحرارق (جمع حراقة) وهي المراكب الحربيّة الكبيرة المخصّصة لمهاجمة سفن العدو بالنفط الّذي يُرمى بالمناجيق والسهام، وكذلك الطرائد (جمع طريدة) وتستخدم لنقل الخيول والشلنديات وهي مراكب مسطّحة يُستعان بها في حمل العتاد والجُند، والحمالات وتستخدم في نقل الذخيرة (**ماجد، 1953-1955، جـ1، ص221-223**).

وقد خصّصت الحكومات الفاطميّة مبالغ كبيرة من الإقطاعات المحسوبة لتزويد قواتها البريّة والبحريّة، وبقيت محلّ عنايتهم حتى زوال حكمهم سنة (567هـ/1171م)، ومن مظاهر اهتمام الحكومة بقواتها العسكريّة، قيامهم ببعض التشريفات للجيوش كوداعهم عند مغادرتهم البلاد لمحاربة الأعداء واستقبالهم عند عودتهم حيث يقام احتفال يحضره الخليفة وبصحبته رجال الدّولة ليشهدوا اسطولهم الّذي أحرز النصر **(المقريزي، خطط، 1997، ج2، ص193)**.

ثالثاً- الحياة الإقتصاديّة والاجتماعية والفكريّة

1- الحياة الإقتصاديّة :

أ-الزراعة:

تعتبر الزراعة من أهمّ مقومات الإقتصاد المِصري لا بل من أهم مصادر الثروة في مِصر، وكانت زراعة القمح تأتي في طليعة المزروعات وخاصة في الوجه القبلي أي في منطقة الدلتا. أما الذرة فلم تكن معروفة عندهم آنذاك **(متز، 1940-1941، ج2، ص261)**. كما عرفوا زراعة الكتّان في

الدلتا والفيوم، أما قصب السكر فقد شغل حيّزاً مهمّاً من مزروعاتهم وأبرز ما دلّ على ذلك قول ناصر خسرو الّذي زار مِصر حوالي سنة (440هـ/1048م) ((وتنتج مِصر عسلاً كثيراً وسكراً)).

كما اشتهرت مِصر أيضاً بإنتاج انواع مختلفة من الفواكه، وأهمها: الكروم، وتزرع في مريوط والجيزة والفيوم والوجهين القبلي والبحر، وشجر النخيل في مختلف انحاء البلاد، بالإضافة إلى اهتمامهم بالأشجار المثُمَّرة فقد إهتموا أيضاً بغرس أشجار الغابات للحصول على خشاب اللّازمة لبناء اسطولهم الحربي ومراكبهم التجاريّة.

كان الفيضان المنخفض للنيل وهو الظمأ (إثنا عشر ذراعاً)، والإستبحار هو حدّ أغراق الأرض وإتلاف المزروعات (ثُمَّانية عشر ذراعاً) وفي كلا الحالتين يهُدّد البلاد القحط الّذي كثيراً ما كان يصحبه الوباء **(البراوي، 1948، ص63)**، أما الحدّ الطبيعيّ فكان (ستة عشر ذراعاً)، وبالرغم من اهتمام الفاطميّين بصيانة مجاري المياه، إلا أنه لم يخلُ عهدهم من أزمات في الرّي أثرت على الإنتاج الزراعي، فنقص النّيل في عهد المستنصر حيث حلّ بمِصر الشدّة العُظمى والّتي إستمرت سبع سنوات، وأُهملت الزراعة وارتفعت الأسعار وانتشر الوباء. واقترنت الشدّة بالفتن والحروب، وعندما تولّى الوزارة بدر الجمالي سنة (466هـ/1073م)، قضى على المفسدين ووجه اهتمامه لإصلاح البلاد، فسادت الطمأنينة، وزاد الإنتاج إلى أكثر من ثلاثة ملايين دينار **(المقريزي، الخطط، 1997، ج1، ص100)**.

وقد بلغ إهتمامهم بالزراعة أن أنشأوا إدارة خاصة تُشرف على أمورها، وقاموا بمشاريع كبيرة لتنظيم الرّي، نذكر منها الخليج الّذي أشرف على حفره أبو المنجا في عهد وزارة الأفضل الجمالي، وكان

هذا الخليج يخرج من النّيل لري الأراضي الواقعة شرقي فرع دمياط **(القلقشندي، 1913-1917، ج3، ص305-306)**

ب – الصناعة:

أدّت عوامل عديدة إلى تطور الصناعة في الدّولة الفاطميّة منها الأساليب الجديدة المبتكرة وحالة الاستقرار السياسية والأمنية الّتي سادت البلاد في تلك الفترة، إضافةً إلى حياة الترف والبذخ الّتي اتّسمت بها المدن المِصرية وبخاصة القاهرة والفسطاط، فلم يُعدّ عمل المصانع مقتصراً على تأمين احتياجات الجيوش، بل تعدّاه لسدّ حاجة الخلفاء والوزراء ورجال الدّولة وغيرهم، وكان من تلك الصناعات، صناعة النسيج وامتازت بلدة القيس بالمنسوجات الصوفية الرفيعة **(متز، 1940-1941، ج2، ص296)**، وكانت بعض منسوجات الصعيد الصوفية تصدر إلى بلاد فارس وعرفت عندهم بـ((المِصري)).

وقد اشتهرت القاهرة أيضاً بصناعة المنسوجات الحريريّة، وأنشأ المعزُّ لهذه الغاية دار الكسوة، حيث كانت تفصّل الكسوة لموظفي الدّولة على اختلاف درجاتهم، وكان يُصنع في هذه الدار كسوة الكعبة، والخُلع الّتي كان يمنحها الخليفة للوزراء والأمراء والإشراف وكبار رجال الدّولة في عيد الفطر، وسُمي هذا العيد بعيد الحلّ. وبنى الخليفة الظاهر خزانة البنود وكان بها ثلاثة الآف صانع لصنع أفخر الثياب **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1، ص433)**

كما عرفت مِصر في العهد الفاطميّ المنسوجات الكتانية، ويرجع ذلك لوفرة الكتان في منطقتي دمياط وشرق الدلتا، ومن المراكز الأساسية لهذا الإنتاج: الفيوم وتنس ودمياط وشطا وديبق وينسب لهذه

المدينة الأخيرة أجود أنواع الأقمشة وهو المعروف بالديبقي، وكان يصنع فيها العمائم الطويلة الّتي يبلغ طول الواحدة منها مائة ذراع **(المقريزي، خطط، 1997، جـ 1، 266- متز، (190-1941)، ج2، ص296)**.

كما إزدهرت صناعة الزجاج والخزف وكانت الفسطاط أكثر مناطق مِصر إنتاجاً لهذه الصناعة، يليها الفيوم والإسكندرية. فيما انتشرت صناعة الخزف في مناطق عديدة من مِصر ويذكر أنه لكثرة انتشاره، لاقى رواجاً لدى البقالين وغيرهم من التُجّار حيث إنهم كانوا يضعون ما يبتاعونه في أوان من الخزف بدلاً من الورق **(زكي حسن، 1937، ص150-151)**

ج- **التّجارة:**

لم يكن لمِصر في بداية العصور الوسطى دوراً ملحوظاً في التّجارة المتجهة إلى آسيا، بينما كان التبادُل التجاري مهماً مع أوروبا وبيزنطة **(Islam to the Present Day,London1970,p.63)**وكانت التّجارة بين أراضي المتوسط والمناطق الشّرقية منذ قديم الزمنتمر عبر طريقينالأول عن طريق وادي الرافدين والثاني من خلال مِصر والبحر الأحمر إلى الهند والسند والصين. حاول أحمد بن طولون أن يجعل مِصر تلعب دوراً بارزاً في الصدارة وأن تكون المنافس الأول للخلافة العبّاسيّة حيث كانت بغداد العاصمة التجارية للعالم الإسلامي ولكن فكرته أُجهضت مع وفاته، لأنّ من خلفه في الحكم من الطولونيّين والإخشيديّين لم يكن لديهم من القوّة ما يُتيح لهم تحدّي بغداد **(Lewis,B,(1953). P. 50)**.

وعندما قدم الفاطميّون إلى مِصر سنة (358هـ/969م)، تغيّرت الأحوال في بغداد ولعبت الاضطرابات السياسية والأمنيّة دوراً كبيراً في تأخر التّجارة في بغداد مقابل صعود نجم الفاطميّين الّذين أمّنوا حماية بلادهم فانتقل مركز الثقل التجاري إليها، وقد هجر كثير من النّاس بغداد إلى مِصر خوفاً علىأنفسهم وأموالهم من الاضطرابات، وكان المستفيد الأول من ذلك "مدينة الفسطاط"، حيث أُعتبرت من أهم مراكز مِصر التجارية .

وأدّت استراتيجية الفاطميّين إلى إحكام سيطرتهم على التّجارة المؤدّية إلى الهند، نتج عنها نشر الدّعوة الاسماعيليّة على طول الطّرق التجارية، وانتعاش الإقتصاد الفاطميّ وذلك بالإضافة إلى محافظتهم على طرق التّجارة مع بيزنطة وأوروبا وصقلية وشمال إفريقيا، ولهذه الغاية أنشأ الفاطميّون أساطيل تجاريّة كبيرة تجوب كل البحار، بقصد التّجارة العالميّة وبنيت في أماكن متعدّدة من دولتهم الواسعة في دور((الصناعة)) **(المقريزي، الخطط، 1997، جـ3، ص306 ومابعدها؛ ماجد، نظم الفاطميّين، 1953-1955، جـ1، ص218 ومابعدها)**، فكان في تنّيس وحدها ألف مركب منها ما هو للتجارة، وكثير منها للخليفة **(خسرو، 1954، ص39)**.

ولعل أهم أنواع التّجارة في عهد الفاطميّين بمِصر: التوابل، الّتي كانت تنقلها مِصر من الهند **(Lewis,1953, p.53)**. أو الصين الّتي استقرت فيها طائفة من العلويين تعلّمت لسان الصين واشتغلت بتجارة التوابل.

وكانت الفسطاط تتمتع برخاء عظيم في العصر الفاطميّ وكُثرت فيها المتاجر والأسواق، كما كان يأتي كثير من المراكب، يقول ناصر خسرو في وصفه لها: ((كان يُباع بأسواقها جميع أنواع السلع، كسوق القناديل الزاخر بالتحف النادرة، وبها أيضاً الخانات)) **(خسرو، 1954، ص58-59)**.

كما اشتهرت في مِصر التّجارة الداخلية في كل من مدن دمياط – الّتي أصبحت الميناء المِصري الوحيد في الجزء الشّرقي من البحر المتوسط – ومدينة قوص، كما كان لأسوان شأن كبير في التّجارة الداخلية بسبب ورود تجارة النوبة والسودان إليها **(البراوي، 1948، ص213-243)**، وقد اتسع نطاقها مع البلاد الأسيويّة والأوروبيّة، فأستوردوا الكثير من غلّات الصين والهند، كما استوردو الأخشاب والحديد من اوروبا.

وقامت علاقات بين مِصر وجنوى والبندقيّة بعد أن إستجاب بعض خلفاء الفاطميّين في الأواخر وأعطوا البحّارة الإيطاليّين الأمان تشجيعاً لهم على الإتجار مع بلادهم (**Heyd: (1925), tome1,p391)**، وعلى الرغم من المنازعات السياسيّة بين مِصر وبيزنطة فإن العلاقات التجاريّة لم تنقطع بين الجانبين فكان البيزنطيّون يستوردون المنسوجات المِصرية من مصانع تنيس ودمياط **(Heyd: (1925). tome1,p 58.)**.

كما سمحت الحكومة الفاطميّة للتجّار الإيطاليّين والأوروبيّين بإنشاء الفنادق الخاصة بهم، وكان لكل جاليه في الإسكندرية فندق خاص بها، يُقيم فيه التجار ويحفظون به بضائعهم، كما أُقيمت في مِصر الوكالات وهي كالفنادق **(المقريزي، خطط، 1997، جـ2، ص93)** وينزل بها التُجّار القادمون من بلاد الشرق الإسلاميّة، كما ذكر ابن ميسر أنّ الوزير المأمون البطائحي أمر سنة

(516هـ/1122م) ببناء وكالة بالقاهرة للواصلين من تُجّار العراق والشّام **(ابن ميسر، 1919، ص62)**.

أما فيما يتعلق بشأن النُظم التجاريّة فلم تكن موحّدة في بلاد المسلمين حيث أُستُخدمت في بلاد مِصر والشّام الدنانير الذهبية، بينما تعامل النّاس في بلاد فارس والعراق بالدراهم الفضية، واستمرت الحالة على ذلك في مِصر لناحية التعامل حتى قدوم جوهر الصقلي الّذي سبك دنانير جديدة أطلق عليها المعزُّية، وأبقى التعامل بالدينار الراضي (نسبة إلى الخليفة العباسي الراضي)، وحين أوكل الخليفة المعزُّ إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالإشرف على الخراج، قام ابن كلس بالجباية بالدينار المعزُّي، فأنحطت قيمة الدينار الراضي تلقائياً، ممّا دفع أهالي مِصر إلى عدولهم عن التعامل بالدينار الراضي والتعامل بالدينار المعزُّي فقط، وفيما بعد أصدرت الحكومة دراهم جديدة في عهد الحاكم بأمرالله وقررّت أن يساوي الدينار الواحد ثُمَّانية عشر درهماً **(الكرملي، 1939، ص58-59)**.

2- الحياة الاجتماعية والفكريّة:

أ- الحياة الاجتماعية:

تميزّت مِصر في العهد الفاطميّ بمظاهر من البذخ والترف قلّ نظيرها في العصور الإسلاميّة. وقد تجلّت مظاهر البذخ لدى الخلفاء فيما يذكره المقريزي **(خطط، 1997، جـ1، ص416-425)**، عن خزائن الفرش والأمتعة والجواهر والخيام والشراب، كما يُستدل عنها من خلال القصور الّتي بنوها واتخذوها مساكن لهم ولأفراد أسرتهم ومن أهمها القصر الشّرقي.

ومن مظاهر العظمة والأُبهة عند خلفاء العصر الفاطميّ ما ذكره رسولي أملريك ملك بيت المقدس للقصر الفاطميّ في عهد الخليفة العاضد وممّا جاء فيه(**Stanley Lanc-Poole,(1901), pp.86-89**):"…. وسار السفراء يقودهم الوزير شاور بنفسه إلى قصر له رونق وبهجة، وفيه زخارف أنيقة، وكان هؤلاء المبعوثين متأثرين بما حولهم... ثُمَّ وصل الموكب إلى فناءٍ مكشوفٍ وتحيط به أروقة ذات أعمدة وأرضية مرصوفة بأنواع من الرُخام متعدّدة الألوان، وكان في وسط الفناء نافورة، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرُخام ...." وهنا يُستدل على حياة الترف الّتي عاشها خلفاء العصر الفاطميّ بشكل عام وخلفاء العصر الفاطميّ الأخير بشكل خاص حيث ساد الأمن والرخاء الإقتصادي.

كما عاش وزراء الفاطميّين أيضاً عيشة الترف، فجعل الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله في قصره مطابخ خاصة له ولأضيافه، وأخرى لغلمانه وحاشيته وأتباعه، كما اتّخذ بقصره طائفة من الحجُّاب يرتدون الملابس الحريرية ويتقلّدون السّيوف ويتمنطقون بالمناطق (ابن خلكان، 1866، جـ2، ص441). كذلك الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي الّذي عاش مُترفاً وجعل مسكنه في دار الملك الّتي بناها سنة (501هـ/1107م) وجعل فيها مكان تقام فيه الأسمطة في الأعياد، واتخذ أحد أبهائها مجلساً يجلس فيه للعطاء، وقد وجد في قصره بعد وفاته ما لا يُحصى من الأدوات، وتسعون الف ثوب عتابي (نوع من الثياب الحريريّة)، وثلاثة خزائن ممتلئة بالدبيقية من صنع تنيس ودمياط وخزانة للطب، وكثيرٌ من الأمتعة الباهظةِ الثُمَّن.

كما إهتمّ الفاطميّين بالأعياد فمنها عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد والنبوي ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين وأمهما السيّدة فاطمة الزهراء ويوم عاشوراء وغيرها من المواسم الأخرى. وكان يُقام في الأعياد سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلاثُمَّائة ذراع في عرض سبعة أذرع، وتنثر عليه أصناف الفطائر والحلوى الشهيّة، ويفتح الإيوان للناس من جميع الطبقات وكان يتم إفتتاحه بحضور الخليفة ووزرائه **(أبو المحاسن، د.ت، ج4، ص97)**.

ويُعتبر شهر رمضان من أهم المواسم الدينية الّتي عُني الفاطميّون بإحيائها، حيث يركب الخليفة ويصحبه وزيره وحولهما الحرس في جولة يخترق فيها شوارع القاهرة، وكان الخليفة يكثر من أُعطياته لأمام المسجد العتيق ولأمراء دولته. وبلغ ما ينفق على سماط شهر رمضان ثلاثة الآف دينار.

وكان الشعب المِصري يستقبل هذه المواسم بمظاهر الفرح والسرور إلاّ يوم عاشوراء، تعطّل فيه الأسواق، ويخرج المنشدون إلى الجامع الأزهر ليلقوا الأناشيد في رثاء الحُسين، ويقام سماط الحزن في بهو بسيط ويحضر الخليفة ملثُمَّاً يرتدي ثياباً قاتمة **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1،ص431)**.

كما احتفل الخلفاء بوفاء النّيل، فكان الخلفاء الفاطميّون يركبون إلى المقياس في الروضة إذا بلغ الفيضان ستة عشر ذراعاً، حيث يذكر ناصر خسرو أنه كان يحتفل بهذا العيد بحضور الخليفة وفي ركابه عشرة الآف فارس، يخترق بموكبه شوارع القاهرة ومِصر.

واهتم الفاطميّون بالغناء والموسيقى، واقبل وجهائهم على سماع الموسيقى والغناء، وكانت مجالس الطرب والغناء تُقام على شواطئ الخليج بالقاهرة، وفي أوائل عهد الحاكم بأمر الله منعها، عندما ظهر الإنحلّال الإجتماعي وبعد وفاته ما لبثت أن عادت إلى الظهور. وكان اللعب بالخيل معروفاً

عندهم، حيث يخرج النّاس في بعض الأعياد ويطوفون شوارع القاهرة بالخيال والتماثيل والسماجات. وذكر المقريزي **(خطط، 1997، جـ1، ص207)**، أن النّاس كانوا يحتفلون بعيد خروج يوسف من السجن ويطوفون في هذا العيد بأسواق المدينة بالطبول والبوقات ليجمعوا من التُّجار ما ينفقونه في خروجهم، ولم ينكر الخليفة عملهم هذا بل شجعهم على ذلك وأمر التجار على التّبرع لهم.

أما المجالس الاجتماعية فكانت تُعقد في قصور الخلفاء والوزراء والأعيان حيث يجتمع العلماء والإدباء للمناظرة والمناقشة. أما المجالس الخاصة فكان تتم في المنازل ويتم خلالها تبادل النوادر والأحاديث ويسودها جوٌ من الوئام وتتجلى فيها اللباقة العقلية، ولقضاء أوقات الفراغ سادت لعبة الشطرنج والنرد **(متز، 1940-1941، جـ2، ص214-215)**.

ب-الحياة الفكريّة:

كان همّ الفاطميّين الأول هو نشر العقيدة الاسماعيليّة، لذا إهتموا ومنذ وصولهم إلى مِصر بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية إضافةً إلى الثقافة المذهبيّة وما يتعلّق بها من علم الفقه والتفسير. ولعب الجامع الأزهر دوراً كبيراً في النهوض بالحياة الثقافية في مِصر، على أن الجامع الأزهر ما لبثت أن فاقت شهرته جميع المساجد الجامعة منذ أن أشار الوزير يعقوب بن كلس سنة (378هـ/997م) على الخليفة العزيز بتحويله إلى معهد للدراسة بعد أن كان مقصوراً على الدّعوة الفاطميّة، وأستأذن الخليفة بتعيين فقهاء للقراءة والدرس، وأن يعقدوا مجالسهم بعد صلاة العصر من كل جمعة، ورحب العزيز بهذه الفكرة وأجرى لهم الأرزاق وأنشأ لهم داراً للسكن بجوار الأزهر **(حسن ابراهيم، 1932،ص127)**.

وأهتمّ الفاطميّون أيضاً بإنشاء المكتبات، وبخاصة تلك الّتي أُلحقت بالقصر الشّرقي والّتي كانت تحوي أندر الكتب والمؤلفات، من مختلف العلوم والفنون، حتّى أنّها تميّزت على غيرها من مكتبات العالم الإسلامي لندرة الكتب المتوفّرة فيها. وكان الخليفة الفاطميّ يزور خزانة الكتب للإطلاع عليها فيعرض عليه أمين الخزانة ما يريد من الكتب والمخطوطات ويقترح عليه ما يُودّ شراءه منها وما يريد حمله لقراءته في مجلسه الخاص **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1، ص409)**.

ومن المراكز الثقافية بمِصر دار الحكمة الّتي أسسها الحاكم بأمر الله سنة (395هـ/1004م) وأطلق عليه هذه التسمية، رمزاً للدعوة الشّيعية لأن مجالس الدّعوة عندهم كانت تسمى مجالس الحكمة، وقد زوّد هذه الدار بمكتبة عرفت باسم دار العلم، حوت الكثير من الكتب في سائر العلوم والآداب، وسمح لسائر النّاس بالتردد اليها والإنتفاع منها. وظلّت دار الحكمة مفتوحة لروادها حتى سنة (516هـ/1122م) حيث أغلقها الوزير الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالي، على أن فترة إغلاقها لم تطُل، فقد أعاد الخليفة الأمر فتحها إلى ما كانت عليه بعد وفاة الأفضل **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1،ص459)**.

على أن مكتبة القصر الشّرقي فقدت الكثير من كتبها القيّمة، نتيجة الشدّة الّتي تعرّضت لها البلاد، فاستولى الجنود والأمراء على الكثير ممّا في خزانة الكتب **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1، ص409)**. واستطاع الفاطميّون أن يعوضوا بعض ما فقدوه، فجلبوا لمكتبة القصر الكثير من الكتب، حتى غدا قصر العاضد آخر الخلفاء الفاطميّين مكتبة كبيرة **(سرور، 1995، ص156)**.

رابعاً- تسلّط الوزراء ونهاية الخلافة الفاطميّة

1- إزدياد سلطة الوزراء في العصر الفاطميّ الثاني:

طغى نفوذ الوزراء على الخلفاء الفاطميّين مع نهاية عهد المستنصر بالله، وبدأت مع إستأثار بدر الجمالي بالسلطة دون الخليفة وتغالى ابنه الأفضل في إغتصاب حقوق الخليفة، فعند وفاة المستنصر أقدم الأفضل على إقصاء ولي العهد نزار عن العرش ومبايعة أخاه الصغير الأمير أبا القاسم أحمدوالملقّب بالمستعلي، مخالفاً بذلك قاعدة الإمامة في الحكم، وذلك لكون أم المستعلي هي ابنة بدر الجمالي وأخت الأفضل، وقد حاول المستنصر قبل وفاته تولية نزار جرياً على العادة وذلك بعرضه على رجال الدّولة لكن الأفضل تقاعد عن ذلك وماطل حتى وفاة المستنصر**(ابن الميسر، 1919، ص35)**، وكان الأفضل يعتبر أن وصول نزار إلى الحكم سيحجب عنه مناصب الدّولة، وبتولية المستعلي سيصبح مطلق التصرّف في شؤون الدّولة.

أدّى إقصاء نزار عن الخلافة إلى اضطرابات في البلاد المِصرية فخرج أهالي الإسكندرية على طاعة المستعلي وأعتبروه مغتصباً للسلطة، فَقَدِم نزار وأخيه عبدالله إلى والي الإسكندرية ناصر الدّولة أفتكين الّذي بايعه بالخلافة، ولمّا وصل الخبر إلى الأفضل أرسل حملة إلى الإسكندرية انتهت بخسارته، ثُمَّ عاد إلى القاهرة وأعدّ حملةً جديدةً سنة (488هـ/1095م) حاصر بها الإسكندرية مُدة سبعة أشهر، مارس فيها ضروباً من القسوة والشدّة والقتل، إضطر على إثرهاأفتكين ونزار إلى طلب الأمان، ثُمَّ أمر بإنفاذهما إلى القاهرة حيث بكل بهما **(ابن ميسر، 1919، ص36-37)**.

لم يقتصر أثر فتنه إقصاء نزار عن الخلافة وقتله على مِصر، فنشطتالدّعوة إلى إمامته عند بعض أهالي بلاد الفرس من الاسماعيليّة، وتجلّت قوة الطائفة الاسماعيليّة في بلدة ساور (بين الرها وهمذان) وازداد نفوذهم حتى استولوا على اصبهان، وكان أحد دعاتها الحسن بن الصباح في اصبهان والّذي انتقل إلى مِصر ليتعمق في المذهب الإسماعيلي في دار الحكمة وفي غيرها من مجالسالدّعوة بالقاهرة. وكان الصباح يرى في تولية المُستعلي الخلافة مخالفة صريحة مع تعاليم الاسماعيليّة الّتي تنادي بتولية الإبن الأكبر، وهذا بخلاف ما عمل به بدر وابنه الأفضل، ويروي بعض الكتاب (ابن ميسر، 1919، ص37) أن الصباح التقى المستنصر يوماً وسأله عن ولي عهده بقوله:((من الإمام بعدك ؟ فقال له: ولدي نزار)). غير أن فريقاً آخر **(Dozy,1901,p.301)**، أن الصباح لم يحظ أثناء إقامته بالقاهرة بمقابلة المستنصر، وأن الخليفة ولّى ابنه أحمد تحت تأثير بدر الجمالي.

إستمر النزاع بين الصباح والأفضل، وقد رأى هذا الأخير أن وجود الصباح بالقاهرة يشكل خطراً على وزارته، فزجه في سجن دمياط، ثُمَّ ما لبث أن اخرجه إلى بلاد المغرب، غير أن الأقدار قذفت بالسفينة الّتي أبحر عليها من الإسكندرية سنة (472هـ/1079م) إلى سواحلّ الشّام، فنزل بعكا ثُمَّ قصد حلب فبغداد إلى خورستان ثُمَّ إلى أصبهان، ولما توفّي المستنصر وخلفه المستعلي أذاع الصباح خبر اغتصاب الخلافة، والّف الكثير من الكتب الّتي تبطل ولاية المستعلي وتثبت أحقية نزار بولاية العهد **(طه شرف، 1950، ص212)**.

بعد أن استقرت امور الخلافة على المستعلي، استأثر الأفضل بالسطلة ومنذ ذلك الحين باتت الأمور في يد الوزراء الّذين باتوا يتحكمون بكل مفاصل الحكم، بما فيها ولاية العهد، وبلغ من نفوذ

الأفضل أنه لمّا توفّي المستعلي (495هـ/1101م) أحضر ابنه ابا علي وبايعه بالخلافة مكان أبيه ولقبه بالأمر بأحكام الله وعمره آنذاك خمس سنوات (**السيوطي، 1903، ج2، ص 14-17**).

استغلّ الأفضل السلطه بعد تولّي الأمر الخلافة ولم يُعدّ يهتم برسوم الفاطميّين الدينية، فقام بالغاء إلاحتفال بمولد النبي(ﷺ)وفاطمة الزهراء ومولد الخليفة القائم، بل أظهر ميله إلى مذهب أهل السُّنّة، وهذا ما أدّى إلى إضعاف الفاطميّين الّذين كانوا يحرصون على إلاحتفال بهذه الأعياد لتأييد نسبهم إلى الإمام علي وزجته فاطمة بنت رسول الله.

أدرك الخليفة الأمر ضُعف سلطته نتيجة تمادي الأفضل، ولمّا بلغ سن الرشد دبّر مؤامرة لإغتياله، حيث أوعز إلى عبدالله محمد البطائحي بتنفيذ المهمّة، فقتل الأفضل وخلفه في الوزارة سنة (515هـ/1121م) (ابن القلانسي، 1908، ص 303-304). وقد حرص الأمر على تولية الخلافة لابنه، فلما رزق صفلاً سنة (524هـ/1129م) سمّاه أبا القاسم الطيب وأحتفل بتوليته العهد له والإمامة من بعده **(ابن ميسر، 1919، ص72)**، وذلك لقطع الطريق على الوزراء في إعادة التدخل بشؤون ولاية العهد، لكن هذا الخليفة سرعان ماقتل على أيدي النزارية، فقبض الجيش على زمام السلطة ووقع اختيارهم على الأمير أبي المأمون أبي عبد المجيد ابن عم الأمر لتولي أمور الخلافة، فأخفى لقب الإمام الطيب وبايعه النّاس على ولاية العهد ولقب الحافظ لدين الله، وأقيم كفيلاً لحمل منتظر لأن الأمر لما مات ترك إحدى زوجاته حاملاً **(ابن ميسر،1919، ص74؛ ابو المحاسن، د.ت، ج5، ص240-241)**.

لم تتح الظروف للحافظ الإستمرار في خلافته، بسبب ثورة الجُند عليه وتولّية أبا علي أحمد بن الأفضل الوزارة، فقام هذا الأخير بسجن الحافظ في خزانة، وصار لا يسمح لأحدٍ بزيارته إلاّ بإذنه **(أبو المحاسن، د.ت، جـ5، ص 240)**، وأمر بحذف اسمه من الخطبة، واستولى على ما في قصره بحجة أن تلك الممتلكات عائدة لأبيه، وأستأثر منذ ذلك الوقت بالسلطة والنفوذ.

ولم يكن أحمد بن الأفضل اسماعيلياً بل كان إمامياً، فشرع منذ تولّيه السلطة إلى إسقاط الاسماعيليّة ورفع شأن الإماميّة، وضرب دراهم ودنانير جديدة باسم الإمام المنتظر ونقش عليها ((الله الصمد، الإمام محمد))وأبطل من الأذان ((حي على خير العمل))وأبدلها بـ ((محمد وعلى خير البشر))، وأمعن في إضعاف المذهب الإسماعيلي بأن عين أربعة قضاة: إثنين من الشّيعة واحد إمامي وآخر اسماعيلي وإثنان من السُنّة أحدهما مالكي وآخر شافعي وأعطى لكل منها الحق في إصدار الأحكام وفق مذهبه وقد علّق المقريزي على هذا بقوله: ((ولم يسمع بمثل هذا في الملّة الإسلاميّة قبل ذلك)) **(الشيال، 1958، ص 49،95)**

شدّد الوزير ابن الأفضل الخناق على أهل القصر الفاطميّ بُغية الوصول لقاتل إخوته وللتخلص من الوريث الشرعي للخلافة، ولكنه لم يفلح في ذلك، كونه لم يطل له الأمد في الوزارة بسبب مناهضته للمذهب الإسماعيلي، الّذين شكلّوا معارضة ضدّه بزعامة الإمير أبي الفتح ناصر الجيوش يانس الأرمني **(المقريزي، خطط، 1997، جـ2، ص17)**، وتآمروا عليه وقتلوه سنة (526هـ/1131م) بعد أن ظلّ مستأثراً بالسلطة سنة وشهراً، وأخرجو الحافظ من سجنه، وقُضي على مذهب الإماميّة.

وبعد إطلاق سراح الحافظ وعودته إلى الخلافة، رأى رجال الدّولة أن الخلافة ليس حقاً شرعياً له لكونه ليس من ابناء الآمر، وإنمّا يُمكن إعتباره وصياً عليها لحين بلوغ ابن الحاكم لتولي الخلافة، وبعد شهرين من تسلّمه زمام الحكم، أمعن في التفتيش عن ابن الأمر و استطاع التخلص منه، ثُمَّ أعلن نفسه خليفةً شرعياً على البلاد، واتخذ يانس الأرمني وزيراً، لكن الأخير توفّي بعد تسعة أشهر فانفرد الحافظ بالخلافة والوزارة معاً، حتى قدوم بهرام والي الغربية بهرام الأرمني ومحاصرتة للقاهرة سنة (529هـ/1134م) ممّا إضطره على تعيينه وزيراً رغم عدم دخوله الإسلام.

تمادى بهرام الأرمني في تسلّطه على الحكم وأكثر من أهل ملّته، حتى بلغوا زهاء ثلاثين الفاً، بالرغم من معارضة النّاس وسخطهم عليه، وأكثر من بناء الكنائس، وضيّق على النّاس وصادر اموالهم وزادت العداوة بين المسلمين وأتباعه، ممّا دفع قادة الجيش للطّلب من رضوان بن ولخشي والي الغربية يطلبون منه القدوم لينقذهم من بطش الأرمن، فأستجاب لهم وقَدِم بجيشٍ كبيرٍ وساعده الجنود المسلمون في جيش بهرام على النصر فهرب بهرام وترك الوزارة، فخلفه رضوان بالوزارة سنة (530هـ/1135م) وعرف بالسيّد الملك الأجلّ الأفضل.

ومنذ تسلّمه الوزارة تشدّد في معاملة أتباع بهرام وأستولى على ممتلكاتهم، وقتل الكثير منهم وهم بخلع الحافظ على اعتباره وصيّاً وليس خليفة، فدارت بينه وبين الخليفة وقائع، هرب رضوان إلى الشّام ثُمَّ عاد على رأس جيش، فقاتل جُند الخليفة ولكنه اعتُقل فطلب عهد الأمان فأعطاه الخليفة العهد، وبقي في معتقله حتى سنة (542هـ/1147م) حيث تمكّن من الفرار وجمع مجموعة من أنصاره حوله ودارت بينه وبين جُند الخليفة من السودانيين عدة معارك، انتهت بمقتله (ابن ميسر، 1919، ص82-83).

لم يتخذ الخليفة الحافظ وزيرا بعد رضوان فحكم بلا وزير حتى وفاته سنة (544هـ/1149م) فخلفه ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله وولى نجم ابن مصال الوزارة ولقب بالسيّد إلاّجل المفضل أمير الجيوش.

ظهر التنافس من جديد على منصب الوزارة بين ابن مصال والأمير المظفّر علي بن سلار والي الإسكندرية والبحيرة، فقصد المظفّر القاهرة على رأس فرقة من أعوانه، ففر ابن مصال وتسلّم المظفر الوزارة من بعده ولقّب بالعادل، وتعقّب ابن مصال حتى قضى عليه. وكان العادل شافعياً فسعى منذ تسلّمه الوزارة إلى انشاء مدرسة للشافعية وسلّم ادارتها للحافظ السلفي الفقيه الشافعي، فحقد عليه الخليفة وأتباعه من الاسماعيليّة ودبروا مكيدة لقتله وتم ذلك سنة (548هـ/1153م) وفي العام التالي أُغتيل الخليفة بتدبير من الوزير عباس الّذي خلف ابن السلار في الوزارة.

أثار مقتل الخليفة الكثير من الاضطرابات في القاهرة بين إلاّهلين، ممّا إضطّر الوزير ابن العبّاس إلى الفرار إلى سوريا وبويع بالخلافة لعيسى بن الظافر وهو في الخامسة من العمر ولقب بالفائز، وساد الفزع في القصر الفاطميّ، وأرسلت نساء القصر إلى طلائع بن رزيك والي الأشمونين يطلبن منه القدوم لإنقاذهن من الأخطار المحدقة بهن **(المقريزي، خطط، 1997، جـ2، ص 293)**. فقدم وتسلم الوزارة ولقب بالملك الصالح، وظلّ قابضاً على زمام الأمور حتى وفاة الفائز سنة (555هـ/1160م) الّذي لم يوص بولاية العهد لأحدٍ من بعده، فأقام الوزير طلائع: عبدالله ابن يوسف ابن الحافظ خليفةً وأطلق عليه لقب العاضد لدين الله وكان عمره آنذاك أحد عشر سنة وبايعه، ثُمَّ تبعه سائر النّاس في المبايعة **(الشيال،1958، ص120-122)**.

ويتضح ممّا تقدّم، تزايد نفوذ الوزراء خاصةً في العصر الفاطميّ الأخير وإضعاف مركز الخلافة لدرجة أنهم أصبحوا يتدخلون في تولية الخلفاء، بل أنهم لم يراعوا في توليتهم تعاليم الاسماعيليّة، وفضلاً عن ذلك فقد أمعن بعض الوزراء إلى نشر الإماميّة كالوزير أحمد ابن الأفضل ورزيك، كما أن غيرهم سعى إلى نشر الشافعية والعودة بمِصر إلى مذهب أهل السُّنّة والجماعة، ولم تقف مطامع بعضهم عند هذا الحد، فهذا الوزير رزيك حاول الضغط على الخليفة العاضد حتى يتزوج ابنته والهدف من هذه المصاهرة أن ترزق ابنته من الخليفة ولداً فيجتمع لبني رزيك الخلافة مع الملك.

2- نهاية الخلافة الفاطميّة:

تظافرت عوامل عديدة في تقريب أجل الخلافة الفاطميّة، ومنها التنافس على الوزارة وإقدام بعض الطامعين بها على الإستعانة بأمراء الدول المجاورة، ممّا رتّب عليهم تطلّع هؤلاء الأمراء إلى بسط سلطانهم عليها، فقد إنفرد شاور بالوزارة بعد تخلّصه من الوزير رزيك سنة (558هـ/1162) غير أن ضرغام أحد قواده ثار عليه وتسلّم الوزارة ممّا دفع بشاور إلى الإلتجاء لنورالدّين زنكي صاحب الشّام كي يمدّه بقوّة يستعيد بها نفوذه، ووعده بأن ينزله ثلث خراج مِصر إن ساعده على ذلك، وافق نورالدّين بعد تردد وأرسل حملة إلى القاهرة بقيادة أسد الدين شيركوه، تصدّت لضرغام وتغلبت عليه وأعيد شاور إلى منصبه في رجب سنة (559هـ/1163م) **(ابن واصل،1957، جـ1، ص137-139)**.

غير أن شاور نقض بعهده مع نورالدّين وطلب ومن أسد الدين مغادرة البلاد، وأستنجد بأمرليك ملك بيت المقدس يطلب منه المساعدة في إخراج أسد الدين ويخوفه من نورالدّين وإتباعه في الشّام، فسارع أمرليك إلى ارسال جيش أجبر شيركوه على العودة إلى بلاده، وتجاه هذه الخيانة جهز نورالدين

سنة (562هـ/1166م) حملة ثانية تحت قيادة أسد الدين شيركوه حين ثبت له غدر شاور وخيانته وسير بصحبته بعض الأمراء وكان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب من بين الّذين اشتركوا في هذه الحملة **(ابن واصل، 1957، جـ1، ص147)**.

استنجد شاور مرة أخرى بالفرنجة، وأستجابوا له خشية أن يستولي جيش نورالدّين على مِصر ويضّمها إلى بلاد الشّام فيصبح ملكهم في بيت المقدس في خطر، ولما وصلت جيوشهم إلى مِصر انضمت إلى جيوش شاور والمِصريين، وتقدم شيركوه بعسكره إلى الصعيد فتتبعه الفرنجة والمِصريين ووقعت بينهما معركة في مكان يدعى البابين (على مقربة من المينا) فكان النصر حلّيف شيركوه وتابع تقدّمه إلى الإسكندرية، فدخلها من غير مقاومة وعين ابن أخيه صلاح الدين والياً عليها.

أما قوات الفرنجة فقد عادت إلى القاهرة بعد واقعة البابين ومن ثُمَّ عاودت الزحف على الإسكندرية، بعد أن أطبقت عليها حصاراً برياً وبحرياً، ولم يكن لدى صلاح الدين من الجُند ما يمكنه من رفع الحصار فأسرع أسد الدين شيركوه إلى نجدته، ولم يلبث المِصريون والفرنجة أن طلبوا الصلح، واشترط عليهم أن لايقيم الفرنجة في البلاد المِصرية، ثُمَّ عاد إلى دمشق.

على أن قوات الفرنجة لم تغادر جميعها من البلاد المِصرية، تنفيذاً لهذا الصلح، بل عُقدت معاهدة بينهم وبين شاور تقضي بأنيكون لهم بالقاهرة شحنة (صليبية)، وتكون أبواب بيد فرسانهم لمنع نورالدّين عن إنفاذ عسكره إليهم، وأن يكون للصليبيّين مائة الف دينار سنوياً من دخل مِصر (ابن واصل، 1957، ص 152).وممّا هو جدير بالذكر أنّ الخليفة لم يكن على علم بما يجري من أمور وذلك حسب أبو شامة بقوله:((هذا كله يجري بين الفرنج وشاور وأما العاضد– صاحب مِصر– فليس له

من الأمر شيء، ولا يعلم شيئاً من ذلك، قد حكم عليه شاور وحجبه، وعاد الفرنج إلى بلادهم وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمِصر والقاهرة على القاعدة المذكورة "**(ابو شامة،1997، ج1، ص127)**.

أدرك الفرنجة خلال وجودهم في مِصر ما وصلت إليه حال البلاد من الضعف والاضطراب، ممّا شجعهم إلى الاستيلاء عليها، وتحكموا في شؤون البلاد دون مواجهة من أحد، وبالتواطأ مع فئة من أعيان البلاد، وراسلوا أمرليك في أمر غزو مِصر، حيث جهز حملة لغزوها سنة (564هـ/1168م)، ولما تقدّم الفرنجة باتجاه القاهرة، اضطّر شاور إلى اخلاء الفسطاط واضرام النيران فيها، حتى لا يأوي إليها الفرنجة، وأمر سكانها بالنزوج إلى القاهرة، وظلّت النّار مشتعلة بها أربعة وخمسين يوماً.

اشتد الحصار على القاهرة، وضاق أهلها ذرعاً من تصرف الفرنج، فإلتجأ شاور إلى الحيلة فأرسل إلى أمرليك يذّكره بما بينهما من مودّة ويبدي له خوفه من نورالدّين ويشير عليه الصلح على أن يؤدي إليه الف الف دينار، فقبل على أن يؤدّي معجلاً مئة الف دينار ويؤخّر الباقي خشية أن يسارع نورالدّين في الاستيلاء على مِصر. وبالتوازي اتصل شاور بنورالدّين طالباً النجدة، كذلك فعل العاضد مستنجداً به، مقابل تنازله له عن ثلث بلاد مِصر، وأن يأذن لأسد الدين شيركوه بالإقامة عنده، وأن يكون إقطاع جنده خارج ثلث البلاد الّذي أفرده لنورالدّين **(ابن واصل، 1957، ص158)**.

وجد نورالدّين في هذه الدّعوة فرصة سانحة لردع الفرنجة فجهّز جيشاً من حرسه الخاص ومن التركمان وأرسله بقيادة أسد الدين شيركوه وانضم إليهم عدد من الأمراء وبعض أقاربه ومن بينهم ابن أخيه صلاح الدين، فلمّا وصلوا إلى القاهرة كان الفرنج لا يزالون على أسوارها واضطّر أمرليك على

الرحيل إلى فلسطين من غير حرب ولا قتال ثُمَّ دخلها شيركوه مرحباً به وبجنده سنة (564هـ/1168م) واستقبله الخليفة العاضد وقلّده مهمّة قيادة جنده.

علم شاور أن حملة دخول شيركوه ستحد من سلطانه، فحاول تدبير مؤامرة للقبض على شيركوه ومن معه من الأمراء لكن ابنه الكامل نهاه عن ذلك خوفاً من عودة الفرنجة، غير أنّه عدّل في النهاية عن تلك المؤامرة. ولما علم أسد الدين بأمره اتفق مع أصحابه على التخلص من شاور، فقبضوا عليه وقتلوه، ثُمَّ نهبت العامة دوره. وبمقتله انتهت سلطة آخر المستبدين من وزراء الفاطميّين، ولم يُعدّ للصليبيين من يشجعهم للزحف على مِصر والاستيلاء عليها، وأصبح شيركوه وزيراً للعاضد وصاحب السلطان الفعلي، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش وقلّده جميع أمور الدّولة، على أن يحسن معاملة رعاياه **(الشيال، 1958، ص 173)**.

استطاع أسد الدين خلال الفترة القصيرة الّتي قضاها في الوزارة أن يقبض على زمام الأمور في البلاد، وتوزيع الإقطاعات على جنده، وإعادة أهالي الفسطاط إليها، وأوصى جُنده بعدم ترك القاهرة، وتوفّي بعد ثلاثة أشهر من تسلّمه الوزارة، وتنازع أمراء نورالدّين على الوزارة غير أنّ العاضد إختار صلاح الدين يوسف ابن أيوب لصغر سنّه وضُعفه عنهم حسب رأيه، فإستدعاه وولاه الوزارة.

سعى صلاح الدين منذ تسلّمه الوزارة إلى تقويّة مركزه فبذل المال وإستمال قلوب الرجال وأمر بذكر نورالدّين في الخطبة بعد الخليفة الفاطميّ العاضد وأقطع أصحابه البلاد، وأسند إليهم بعض المناصب، وتجلّى حرصه على القضاء على الخلافة الفاطميّة. ولما إشتدت وطأته على أهل القصر، إتفق رجال القصر على تدبير المكائد له وقد تزعمهم جوهر مؤتمن الخلافة، واتفقوا على مكاتبة الفرنجة

ودعوتهم إلى مِصر فاذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم يتم القبض على بقية أصحابه بالقاهرة، بعد أن ينضم المتآمرون إلى الفرنجة بُغية محاربته والقضاء عليه **(المقريزي، خطط، 1997، ج2، ص2)**.

استدرك صلاح الدين المكائد والدسائس فشدّد الرقابة على مؤتمن الدّولة، وأرسل جماعة من أتباعه تمكّنوا من إغتياله في أواخر سنة (564هـ/1168م)، ممّا أدّى إلى ثورة جُند الخليفة وأكثرهم من السودانيين وكان عددهم يزيد على خمسين الفاً، ودار قتال عنيف بينهم وبين جُند صلاح الدين، في المكان المعروف بين القصرين، واستطاع صلاح الدين من الإنتصار عليهم وأحرق حيّهم ووحلّت بهم الهزيمة ومضت فلولهم إلى الجيزة **(ابن واصل، 1957، جـ1، ص174-177)**، وما زال يتعقبهم في الصعيد إلى أن قضى على نفوذهم بشكل نهائي **(حسن ابراهيم، تاريخ الدّولة الفاطميّة، 1959،ص197)**.

غير أن الصعاب الّتي واجهت مِصر لم تكن مقتصرة على الفتن الّتي اثارها رجال القصر الفاطميّ واتباعهم من الجُند على الوزير صلاح الدين، وإنّما تعدّتها إلى تربص الفرنجة في بيت المقدس بمِصر، حيث إنّهم وجدوا أن إزدياد نفوذ نورالدين في تلك البلاد بات خطرا مُحدقاً بهم، ولذلك استقر رأي ملك بيت المقدس على الإستنجاد بملوك أوروبا لإحباط سياسة نورالدين التوسعيّة والحدّ من خطره، فلم تلق دعوته آذان صاغية منهم لإنشغاهم بأمورهم الداخلية، فلجأ إلى مانويل أمبراطور بيزنطة فرحب بالفكرة ومده بجيش مزود بالمؤن والعتاد الحربي، فصلوا إلى دمياط سنة(565هـ/1169م)، وكان يخفي مطامعاً في مد نفوذه إلى البلاد المِصرية.

وعندما علم صلاح الدين بتلك الحملة أعد جيشاً بقيادة ابن أخيه تقي الدين وخاله شهاب الدين محمود وأمدهما بالسلاح والذخائر وسيّر حملتهم عن طريق النّيل، ولكنه وجد نفسه في مواجهة ثلاثة مخاطر رجال القصر ومكائدهم من جهة والجنود السودانيّين من جهة ثانية والحملة البيزنطية من جهة ثالثة، فأرسل إلى نورالدين طالباً من المدد العسكري،وشارحاً له ما هو عليه من الحال، فأستجاب نورالدّين لمطلبه، وكان كلما جهز فرقة من الجُند أرسلها إليه **(ابن واصل، 1957،جـ1، ص181)**، كما أنّ الخليفة العاضد لم يبخل عليه مادياً وقد نوه صلاح الدين بمعاونة العاضد له بقوله : ((ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إليّ مُدّة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله إليّ من الثياب وغيرها)) **(المقريزي، خطط، 1997، جـ1، ص215)**.

غير أن حملة الصليبيّين وحلّفائهم البيزنطيّين على دمياط، فشلت بسبب الخلافات الّتي وقعت بينهم على آلية تنفيذ الهجوم، وقلّة التموين، وما بلغهم عن قيام نورالدين بمهاجمة حصن الكرك وغيره من النواحي الّتي كانت في أيديهم فسارعوا إلى رفع الحصارعن المدينة والعودة بجيوشهم إلى بلادهم في ربيع الأول سنة (565هـ/ 1170م)، وبذلك فشلت حملتهم في الاستيلاء على مِصر **(حسن حبشي، 1948، ص 137-140)**.

بعد فشل الحملة الصليبية – البيزنطية على مِصر إنتهى خطرهم وتبدّد مشروعهم، وتوطّدت سلطة صلاح الدين في مِصر بعد أن كسب ثقة المِصريّين في دفاعه عنهم، ولتحقيق غايته في إستمراريته في الحكم، أرسل إلى نورالدّين يطلب منه إيفاد أهل بيته وأقاربه إليه،قبل نورالدّين بطلبه،

فوصلوا إلى مِصر سنة (565هـ/1170م) وما لبث أن أسند إليهم بعض المناصب الهامّة، فجعل أبيه على بيت المال وأقطع إخوته بعض الأراضي **(ابن واصل، 1957، جـ1، ص185-186)**.

بعدما تيقّن صلاح الدين مناستقرار سلطته، وجه إهتمامه إلى القضاء على المذهب الشّيعي وتغييّر مِصر إلى المذهب الشافعي فأقام مدرسة سنة (566هـ/1171م) لتدريس المذهب الشافعي وأخرى إلى المذهب المالكي، وعزل قضاة الشّيعة وعين قاضياً شافعياً وأحلّه مكانه في القضاء وأخذ المذهب الشّيعي في الإختفاء تدريجياً حتى لم يبق له أنصار في مِصر**(المقريزي، خطط، 1997، جـ1، ص358-359)**.

هدف صلاح الدين من خلال سيايته المنطوية على إضعاف المذهب الاسماعيلي وأحياء مذهب أهل السُنّة، إلى إنهاء دور الخلافة الفاطميّة وزوال مُلكها الّذي بدأ ينحصر تدريجياً، وكثر القول أن صلاح الدين وأتباعه أكثرو في ذم العاضد، كما تحدثوا بخلعه وإقامة الدّعوة للعبّاسييّن. لكن صلاح الدين رغم استبداده بأمور مِصر إلاّ أنه آثر التريث في تنفيذ رغبة نورالدين بالدعاء للمستضيء في البداية، خوفاً من إثارة غضب المِصريين، غير أن نورالدين أبى قبول هذا العذر والزمه بقطع الخطبة للعاضد والدعاء للمستضيء، وبعد التشاور مع الأمراء الّذين أظهر بعضهم الرضى والقبول وبعضهم الرفض، قام أحد الدعاة القادمين من بلاد فارس في اول جمعة من محرم سنة (567هـ/1171م)، بالغاء الدعاء للمستضيء وفي الجمعة الّتي تلت أمر صلاح الدين بقطع الدعاء للعاضد وتحويله للخليفة العبّاسيّ. وكان العاضد آنذاك مريضاً فلم يعلمه أهله وأصحابه بقطع الدعاء له، ثُمَّ توفّي في العاشر من محرّم سنة (567هـ/1171م) **(ابن واصل، 1957، جـ1، ص200-201)**، وقيل أنّه علم قبل وفاته

بخمسة أيام بحذف اسمه فأعتل وتوفّي **(ابو شامة، 1997، جـ1، ص196)**. وهكذا سقطت الدّولة الفاطميّة الشّيعية، وظلّت الخلافة العبّاسيّة قائمة بالرغم ممّا أصابها من ضُعفٍ وإنحلّالٍ، على إعتبار أنّها الرمز الأساسي لوحدة المسلمين، ولا بُدّ من بقائها لصلاح العالم الإسلامي.

الخاتمة

مما لاشك فيه أن أية دعوة تقوم على أسس من التنظيم لا بُدّ من تحقيق أهدافها فقد سعى الفاطميون إلى بناء دولة خاصة بهم بعيداً حاضرة الخلافة السنية وعلى مبدأ التشيّع وبنيجة لظروف معينة إستطاع قادتها وفقاً لخطط معنوية ومادية من استقطاب المناصرين الذين وجدوا فيها المنقذ من الاوضاع المتردية التي أحاطت بهم، واستطاعت خلال فترة وجيزة من تحقيق مآثر عدة منها:

1. الانتشار السريع في مصر والشمال الافريقي وتحقيق الذات وتوسيع نطاق الدولة.
2. استغلال حالة الفوضى والضعف التي المت بالخلافة العباسية.
3. بناء دولة فيها تنظيمات ادارية وحربية على شاكلة الخلافة العباسية في بغداد.
4. تحقيق انجازات على مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها.
5. تشجيع السكان على تلقي العلوم بحيث أصبحت مصر في زمن الفاطميين محجاً للعلماء.
6. تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمختلف طبقات المجتمع، الأمر الذي أكسب القادة الجدد ثقة السكان بالخلافة الجديدة التي غيرت أحوالهم.

7. ان زوال الدول سببه الاساسي ضعف الطبقة الاولى الحاكمة وتدخل الطبقات الأدنى منها في شؤون الحكم كالوزراء وغيرهم من أصحاب النفوذ.
8. وأخيراً هناك أمر مهم وهو أن الجذر الثابت في تفكير أي من الشعور لا يمكن الاّ أن يعود للظهور وأن تبدلت به الأحوال لفترة من الزمن كما حصل في مصر عند حلول المذهب الشيعي إبان فترة حكم الفاطميين، فلم يمضِ المزيد من الوقت حتى عادت مصرإلى أصالتها ومذهبها السني الذي أسست عليه في ظل دولة الاسلام.

التوصيات :

إن هذا البحث هو عيّنة من دراسات عديدة قام بها الكثير من الاساتذة والمفكرين العرب والأجانب وهي غيض من فيض ولكن هناك الكثير من الدراسات التي يمكن للباحثين البناء عليها والتي يمكن البحث في متنها ومنها:

1. دوافع الفاطميين في اختيار الشمال الافريقي بشكل عام ومصر بشكل خاص.
2. الاسباب التي أدت إلى تراجع الفاطميين عن المغرب رغم انطلاقتهم في تلك البلاد.
3. الاسباب التي دفعت السكان المصريين إلى الاقتناع بالدعاة الجدد سواء أكان الاقتناع بالدعوة أم الاغراءات المادية واستغلال الاوضاع الاقتصادية السيئة .
4. التحقق من الصحوة الاخيرة التي جرت لتصحيح مذهب السكان على يد الناصر صلاح الدين ، جاءت بالفطرة أم بالقوة ، أم بالاغراءات المتنوعة التي جاء بها دعاة الشيعة.

5. أن المؤامرات التي قام بها الوزراء الشيعة مع الفرنجة كانت من أسباب فشل دولتهم.

الملاحق

قائمة بالخلفاء الفاطميّين وفترة حكمهم

1	عبيد الله المهديّ	(297-322هـ/909-934م)
2	القائم (محمد أبو القاسم)	(322-334هـ/934-945م)
3	المنصور (اسماعيل أبو طاهر)	(334-341هـ/945-952م)
4	المعزُّ لدين الله (معد أبو تميم)	(341-365هـ/952-975م)
5	العزيز بالله (نزار أبو منصور)	(365-386هـ/975-996م)
6	الحاكم بأمرالله (المنصور أبوعلي)	(386-411هـ/996-1020م)
7	الظاهر لإعزاز دين الله (علي أبو الحسن)	(411-427هـ/1020-1035م)
8	المستنصر بالله(معد أبو تميم)	(427-487هـ/1035-1094)
9	المستعلي (أحمد أبو القاسم)	(487-495هـ/1094-1101م)
10	الأمر (المنصور أبو علي)	(495-524هـ/1101-1130م)
11	الحافظ (عبد المجيد أبو الميمون)	(524-544هـ/1130-1149م)

12	الظافر (اسماعيل أبو المنصور)	(544-549هـ/1149-1154م)
13	الفائز(عيسى أبو القاسم)	(549-555هـ/1154-1160م)
14	العاضد(عبدالله أبو محمد)	(555-567هـ-1160-1171م)

قائمة بالمصادر والمراجع

1- **البراوي، راشد**،حالة مِصر الإقتصاديّة في عهد الفاطميّين،1948، ط1، مكتبة النهضة، القاهرة، عدد الصفحات402.

2- إبراهيم حسن، حسن:

- (1959).***تاريخ الدّولة الفاطميّة***، القاهرة.

- (1932). ***الفاطميّون في مِصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص***.

3- اسماعيل كاشف، سيّدة، (1950). ***مِصر في عهد الإخشيديين***. القاهرة.

4- حبشي، حسن، (1948). ***نورالدّين والصليبيون***، القاهرة.

5- خسرو، ناصر، (1954).***سفر نامة***. نقله إلى العربية يحي الخشاب، الطبعة الأولى، القاهرة.

6- ابن خلكان، (ت681هـ/1271م)، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي، (1866). ***وفيات الأعيان*** . جزءان، بولاق.

7- ابن سعيد: (ت673هـ/1275م)، علي بن موسى المغربي،(1898-1899). ***المغرب في حلّى المغرب، والمشرق في حلّى المشرق***، ليدن.

8- سرور، محمد جمال الدين، (1995). ***تاريخ الدّولة الفاطميّة***، القاهرة.

9- السّيوطي،(ت911هـ/1505م)، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (1903). ***حسن المحاضرة في أخبار مِصر والقاهرة***. جزءان، القاهرة.

10- أبو شامة، (ت665هـ/1267-1268)، عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عُثمان شهاب الدين الملقب بأبي سامة، ***الروضتين في أخبار الدولتين***.(1997). مؤسسة الرسالة، بيروت.

11- الشيال، جمال الدين، (1958). ***مجموعة الوثائق الفاطميّة***. القاهرة.

12- شرف، طه، (1950)، ***دولة النزارية أجداد أغاخان***، القاهرة.

13- سعد القرطبي، عريب، (ت 366هـ/976-977م)، (1884). ***صلة تاريخ القرطبي***. القاهرة.

14- القلقشندي،(ت821هـ/1418م)، أبو العباس أحمد، (1913-1917).***صبح الإعشى في صناعة الإنشا***.14جزءاً، القاهرة.

15- ابن القلانسي، (ت555هـ/1160م)، أبو علي حمزة، (1908). ***ذيل تاريخ دمشق***، بيروت.

16- الكرملي، انستاش ماري، (1939).***النقود العربية وعلم النميات***. القاهرة.

17- الكندي،(ت 350هـ/961م)، أبوعمر محمد يوسف، (1908).***كتاب الولاة وكتاب القضاة***. ليدن.

18- ماجد، عبد المنعم، (1953-1955). ***نظم الفاطميّين ورسومهم في مِصر***، جزأين، القاهرة.

19- **متز، آدم**، (1940-1941). ***الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري***. جزءان، القاهرة.

20- ابو المحاسن، (ت874هـ/1354م)، جمال الدين يوسف بن تغربردي،(د.ت). ***النجوم الزاهرة في ملوك مِصر والقاهرة***. القاهرة، دار الكتب المِصرية.

21- المقريزي،

- (1997).***المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار***، أربعة أجزاء، القاهرة.

- (1948).***إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا***، (جمال الدين الشال)، القاهرة، دار الفكر العربي.

22- محمد حسن، زكي،(1937). ***كنوز الفاطميّين***' القاهرة.

23- ابن ميسر، (ت677هـ/1378م)، محمد بن علي بن يوسف بن جلب،(1919). ***تاريخ مِصر***. طبعة هنري ماسيه، القاهرة.

24- ابن واصل، (ت697هـ/1297-1298)، جمال الدين محمد بن واصل،(1953،1957). ***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب***، نشر جمال الدين الشيال.

25- Dozy .(1901).***Essai sur l'Islamisme.***

26- Heyd,w,(1925). ***Hist. du Commerce du Levant au moyen***– Age 2 vols .

27- Lewis, (1953). ***The Fatimids and the route to India***. De la Fac. Des Sc. Econom. de l'Univ. De Istanbul

28- ***Islam to the Present Day***, (1970).London.

29- Stanley, Lanc-Poole.(1901). ***A histoire of Egypt in the Middle Ages***, London.

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

www.arabjhs.com
ISSN: 2709-5312